حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستضمون عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري
ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين
الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى
لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها هذه براءته
عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه
من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره
عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور
فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون
ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الضعيف لكمال وضوح
دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف
من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به
قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار
استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو
دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب
وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه من ذلك وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه و
ليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس
كونه وحيا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال
لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم
كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه
قيل ان ارتبتم في شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم
فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى
غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان العبودية
مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل و
انقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو صلى الله تعالى عليه وسلم وامته او جميع

الانبيا

الانبياء عليهم السلام بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه
والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجزاء
وسببية الارتياب للامر او الاتيان بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه
سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا
بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القران العظيم و
اقلها ثلث ايات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القران
مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلم احتواء سور البلد على ما فيها او من السورة
التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القران
مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي
من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها
مبدلة من الهمزة فمعناه البقية من الشيء والقطعة منه ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو
الطبقة والنظم البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا
محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه قيل فاتوا ببعض ما هو مثله فلا يفهم منه كون
المماثلة من تتمة المعجز زعما فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم
بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم يأباه ما سبق
من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تقدير تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير
جد وقيل هي زائدة كما هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور
مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا
قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه
فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة لا
تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمأمور
به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة ولو بالاجتماع
مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين
هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما
ينطق به قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير
مماثل في صفات الكمال لما اتى به جملة واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)